بأدائه المبدع: الفنان شليمون بيت شموئيل يتألق في جامعة شيكاغو

أبو دارا

في نهاية نيسان المنصرم، اعتلى الفنان الآشوري المبدع شليمون بيت شموئيل منصة الشرف في جامعة شيكاغو/ قسم موسيقى الشرق الأوسط ليمثل أصالة الأغنية الآشورية ونقاء هويتها الفنية، وأمام جمهور أكاديمي متخصص تجاوز عدده 500 شخصية مهتمة بالفن وألوانه، من بينهم 100 شخصية شرق أوسطية منهم 15 آشورياً. شارك في الحفل ثلاثة فنانين لكل من العرب والفرس والترك، إضافة الى فناننا شليمون، جسدوا من خلال أغنياتهم التنوع الموسيقي الشرق الأوسطي، وأدار الحفل وأخرجه على الهواء الفنان الفلسطيني القدير عيسى بولص.

ويذكر أن شليمون بيت شموئيل كان قد أبدع مؤخراً الى ساحة غنائنا القومي الملتزم ألبوماً جديداً صاغ عنوانه (بووني بابونا/ ܒܘܢܝ ܒܒܘܢܐ) من ذاكرة حضارة أجداده الموغلة في القدم، ونحت ألحانه من موروث شعبه الثر.

حمل جديد شليمون ست أغنيات جميعها من ألحانه واثنتان من كلماته أيضاً (بووني بابونا/الشرق والغرب.. غنى في الأولى مقطعاً كاملاً باللفظ الغربي للغتنا الجميلة)، أما الأربع الأخرى فهي: الربيع، من كلمات هانيبال الخص/ المعذرة، لننا إيشا/ الفص المفقود، ليوسف بيت شهباز/ المزمور 150 المقتبس من كنوز ليتورجيا كنيسة المشرق العريقة. أخرج الألبوم الفنان كاري فيليب، وطرزت لوحة الألبوم أنامل الفنان الآشوري المبدع آرم أوراها.

تعرف هوية أية أغنية من لحنها أو موسيقاها، ولعل ما يزكي شليمون بيت شموئيل لتمثيل الأغنية الآشورية في الأروقة الأكاديمية نيابة عن زملائه المبدعين الاخرين.. هو امتلاكه لموهبة لحنية أصلية ونادرة وهبتها آشور الأرض لبقاياها!، ومن ثم أداؤه الموشح بالألم الأزلي الذي يلح أن يلقي بظلاله على الغناء الشرقي عموماً. ولما كان شليمون يؤمن بأن فكرة الفن هي فكرة الحياة نفسها كما يقول لورنس داريل، جاءت نصوصه الغنائية مثخنة بسحنات حزن مزمن التصقت بالذاكرة الجمعية الآشورية المصرة أبداً على البقاء حية رغم انف الجميع.

يتذكره محبوه في صيف عام 1973 وهو ينشد ملحمة سميلي الشهيرة في النادي الثقافي الآثوري، معقل الآشوريين الناشطين قومياً يومذاك! وكررها بجرأة في كركوك ليتجاوز بها ومنها الخطوط البعثية الحمراء، فيترك مجبراً وطنه الأحب العراق، ويقصد أبناء جلدته في إيران.. وفي حقيبة سفره اليتيمة صوراً رهيبة عن قضية شعبه تشظت سريعاً وبسهمة أصدقائه الجدد في طهران إلى مرايا في الحب والانتماء والأمل. قدمها شليمون لجمهوره النخبوي الخاص على طبق من ملاحم الحس القومي مستنبطاً إياها من أزمنة الفعل الماضي ساعياً لغد وحياة أفضلين وكأنه يذكرنا بقول الشاعر المصري المجهول في (كتاب الاموات): أنا الأمس أعرف الغد.. وهنا تشير حصراً الى أغنيته المستفزة لخلايا الوعي القومي الآشوري (أمة في نقاش) إذ يقول: "العالم يفكر بالغد.. ونحن منهمكون بالأمس"، إذ لازال النقاش مستمراً بل محتدماً!!.

الأغنية عند شليمون تبحث عن الجذور والثمار معاً، وتنتمي بكبرياء الى ذلك الدم النقي الذي سال في نينوته العتيقة وتوأمها سميلي الجديدة! والذي بقي في رأسه أحمراً ناصعاً لم يقبل أن يتلوث أو أن يخضع أو يخنع، الدم الذي لم يجف بعد في مخيلة الأغنية الشليمونية وإن كان عمره سبعة آلاف طبخ (شهر لآب عند الآشوريين)، أو سبعون سميلي!!، فالروابط الخفية والآلام الموجعة في خطابه الغنائي تكشف عن تجربة فنية شديدة الالتصاق بالحياة ببعدها الإنساني وصيرورتها القومية المتفردة.